وزارةُ الثَّقَافة
الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب
مديريّة منشورات الطِّفل

مكتبة الطفولة



قريبتي ساحرة

قصة: أميمة إبراهيم
رسوم: رامز حاج حسين



رئيس مجلس الإدارة
وزيرةُ الثقافة
الدكتورة لبانة مشوّح

الإشراف العامّ
المـدير العــامُّ للهيئـة
العامّة السّوريّة للكتاب
د. نايف الياسين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإخراج الفنّي
هيثم الشيخ علي

الإشراف الطباعيّ
أنس الحسن

مكتبةُ الطّفولة

سلسلة قصصيّة موجّهة إلى الأطفال



قصة: أميمة إبراهيم
رسوم: رامز حاج حسين



أحلـــمُ بالسَّـفر وبالـرّحـلات، وأرجـو أن أركـبَ قطاراً، أو أُحلّـقَ في طائرة، أو أُبحرَ في مركب كبير.

أثيرُ ضجّةً في البيت تجعلُ مَـنْ حولي يضحكونَ، ويقولونَ لي:

أنتَ ثرثارٌ حقيقـيّ لا تملُّ الكلامَ ولا الأحلام.

ما ذنبي إنْ كنتُ أحبُّ السّفر؟ ما ذنبي إنْ كانَ البيتُ يضغطُ على أنفاسي؟ أريدُ فضاءات تـتّسعُ لأحلامي.

أريدُ أن أجريَ مثلَ غزال في صحراء، أو مثلَ نمر في غابة. أريدُ أن أطيرَ، وأُحلّـقَ مثلَ نسر في الفضاء.

هكـذا، كنتُ أُردّدُ دائماً، ولا أمـلُّ الكلام، وأحلـمُ بأنّ سـاحرةً سـوفَ تأتي ضاربةً بعصاها، وتسـألُـني تحقيـقَ أحلامـي، فأطلبُ منهـا أن تأخُـذَنـي... إلى أيـن؟ لا أعـرف! المهـمُّ أن أسـافر. فـي الخيال، في الأوهام، في الحقيقة، المهمُّ أن أسافر.



حتّى جاءَ يومٌ، أتتْ فيه السّاحرةُ إلى بيتنا. لم تكنْ تحملُ عصاً بيدها، بل سلّة كبيرة مُمتلئة بالفاكهة والخضراوات الطازجة التي قطفَتْها من مزرعتها.

جلستُ بينَ يديها أسمعُ كلَّ كلمة تنطُق بها. إنّها قريبةٌ لأهلي جاءَتْ في زيارة قصيرة، وهي تدعو الجميعَ إلى قضاء بضعة أيام في مزرعتها.

اعتذرَ أبي وأُمّي، لأنّهما مشغولان بعملهما، لكنّها أصرَّتْ على الدّعوة. ربّما قرأتْ في عينيَّ تلهُّفاً وترقُّباً. حقّاً إنّها ساحرة، لأنّها استطاعَتْ إقناعَ والديَّ باصطحابي معها.

لم نُسافرْ بالطائرة، ولا بالقطار، بل بسيّارة أجرة صفراء كانت تُساوي طائرةً في نظري.

وصَلْتُ إلى مزرعة قريبتنا وقتَ الغروب. كان قُرصُ الشمس قد غطسَ في المجهول، وانتشرَتْ ألوانٌ زاهية تتماوجُ بينَ البنفسجيّ الدّاكن والفاتح



والـحُمرَة القانية، ثـمّ تبدو حُـمْـرَةٌ ورديّةٌ بتدرُّجاتها الـمُتعـدّدة، ثـمَّ برتقالـيٌّ وأصفـرُ يميلُ إلى حُـمْـرَة خفيفـة فـي امتـزاج رائع بلـون السّـماء، أمّـا حزامُ الـخُضـرة والـجَمال الذي يُزنّـرُ المزرعةَ، فقد صارَ ليلكـيّاً، وها هو ذا طيفُ هلال يبزغُ بخجل، ويرجو أن نَـدْعُـوَهُ إلـى السَّـهر، ونجومٌ من ضيـاء تُـلـوِّنُ الليـلَ البهـيّ، وتزيدُهُ روعةً، حتّـى عُواء بنات آوى سَمِعْـتُـهُ مثلَ نشيد رائع.

تسـلّـلتْ أصواتٌ مُـتناغمةٌ إلى أذُنـيّ، هي خليطٌ من ضحكِ السّاهرين ونقيق الضّفادع.

كانَ الفـرحُ يغمـرُ قلبي، فيزيـدُ تدفُّـقَ الـدم فـي جسـمي، وكانت السّـعادةُ تحملُـني على أجنحتها، لذلك نمتُ سعيداً على سرير الأحلام.

صباحـاً، كانت أصواتُ الدُّيـوك والعصافير تصلُ إلـى مَسْـمَـعـيَّ، فأشعرُ بالنّشـاط، وأسـارعُ إلـى



النُّهوض من فراشي والتّجوال حولَ البيت، حيثُ انتشرَتْ أشجارُ التّين والزّيتون واللوز والعنب والرُّمّان والتُّوت. خليطٌ بلا تجانُس، لكنّهُ يُشكّلُ لوحةً بديعة.

هذه قطّةٌ تموءُ، وتُطالبُ بحصّتها من طعام الإفطار. أجري إليها، حاملاً قطعةً من الجُبن وبقايا أطعمة أعرفُ أنّها ستُحبُّها، أمّا طعامُ الإفطار الذي قدّمَتْهُ إليَّ قريبتي، فكانَ لهُ طعمٌ مُختلف ومذاقٌ طيّب. رُبّما كان مذاقُهُ مذاقَ الرّاحة بعدَ تعبِ عام دراسيّ لم أتوانَ فيه عن بذْل كلِّ جهد.

أخذَتْني قريبتي في رحلة جميلة إلى حرش السّنديان. من هناك لاحَت في الأسفل، حيثُ الوادي، بساتينُ المشمش والخوخ وسواقي الماء التي امتلأتْ بالحصى والنباتات المائيّة، وشمخَتْ على ضفافها أشجارُ الدّلب العملاقة، ثمّ أخذتْني



إلى مغارة جميلة كان الطريقُ إليها يتلوّى صُعوداً وهُبوطاً، وأشجارٌ شائكةٌ مُلْتَفَّة تُخبّئ هذه المغارةَ عن العيون.

تساءلتُ ببراءة: هل تختبئُ الضّباعُ والوحوش في هذه المغارة؟!

أجابت قريبتي: لا، بل كانت هذه المغارةُ مأوىً لرجالنا الأبطال الأشدّاء زمنَ الحروب ومُقاوَمة المُحتلّين، يَتَوارَونَ فيها عن عيون الأعداء ريثما يَسْتجمعُونَ قُواهم، ثمَّ يُعاوِدُونَ الهجوم.

سألتُها: وأين همُ الآنَ يا خالة؟!

أجابت: هذا كان منذ زمن بعيد، قبلَ أن تأتيَ أنتَ إلى هذا العالم.

عدتُ إلى البيت مُمتلئَ الرّأسِ بقصصِ الرِّجال وبُطولاتهم، وتذكّرْتُ أنّني قرأتُ في كتاب



التاريخ كثيراً ممّا قالتْهُ لي قريبتي السّاحرة، فشعرتُ بالفخر لأنّ قدمَيَّ الصّغيرتَين لامَسَتا أرضَ المغارة.

مساءً، تروي لي ساحرتي بعدَ أن رجوتُها أن تحكيَ لي قصّةً ما:

يومَ كنتُ صبيّةً في مطلع عُمري كان يحلو لي أن أذهبَ إلى نبع الماء وقتَ المغيب، وكانت جدّتي تُحذّرُني من أنّ العفاريتَ قد تكونُ في انتظاري إنْ تأخّرتُ في العودة.

تضحكُ، وتُتابعُ: يومَها لعبتُ مع صديقاتي، حتّى بدأ الليلُ حياكةَ عباءَته السّوداء، لذلكَ أسرعتُ، وعبّأتُ جرّةَ الماء، ثمَّ حملتُها على كتفي، وأسرعتُ عائدةً إلى البيت مخافةَ أنْ تظهرَ العفاريتُ في طريقي، كما قالت جدّتي.

ويا لَهَوْلِ ما أحسسْتُ به! كانَ أحدُهم يَرُشُّ

الماءَ علـيَّ، فجريتُ خائفـةً لا ألوي على شـيء. أخافُ أن أتوقّف. أخافُ أن أنظرَ إلى الوراء.

لا بُـدَّ أنّ عفريتةَ النهر هي مَـنْ تَـرُشُّـني بقطرات الماء الباردة.

لـمّـا وصلتُ إلـى البيت بأنفـاس لاهثة مُضطربة ووجه شـاحب أنزلـتُ جرَّةَ المـاء عن كتفـي. كانَ الماءُ في جرّتي قد وصلَ إلى نصفها فحسـب، لأنّها كانت مثقوبة!

ضحكنـا معاً لطرافة القصّة، وغفوتُ، وأنا أسـمعُ خريرَ الماء وسقسقةَ الجداول.

أخيـراً، انتـهَــتْ عُطلتـي، فحزمْـتُ حقائبـي، وأوصلَـتْـني قريبتُـنا إلى مدينتي، حيثُ بيتي وأهلي ومدرسـتي وأصدقائي وكتبي ودفاتري، وفي القلب فرحٌ، وفي العينِ إشراقٌ وأمل.





كتبي تدعوني إلى رحلة من نوع آخر. غداً في المدرسة، سأسافرُ إلى مصرَ والعراق واليمن وعُمَان وتونس والجزائر... سأعيشُ مع بطولات صلاح الدّين الأيوبي، بطل حطين ومُحرِّر القُدس، وسيف الدّولة الحمداني قاهر الروم وصديق المُتنبّي سيّد الشِّعر، وسأُغنّي لأطفال فلسطين، واثقاً بالنّصر وراجياً لهمُ الحُرّيّة، وقد أصلُ في رحلتي إلى القمر، وسأعرفُ أكثرَ عن النُّجوم والمجرّة والكواكب، وستبقى ذاكرتي مُمتلئةً بالقصص والحكايات الجميلة التي سأرويها لأهلي وأصدقائي في أوقات الفراغ.

شُكراً يا ساحرتي الرّائعة! شكراً يا قريبتَنا الوَدُودَة! سأدرسُ كثيراً، كما وعدْتُك، وأنتِ، لا تنسي أنّك وعَدْتِني برحلة جديدة في الصّيف القادم ستكونُ هديّةً لي لنجاحي وتفوُّقي.

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب

حزيران ٢٠٢٤

بيتزا القمر

طنينٌ في المرآة

أيّهما أكثر جاذبيّة؟!

ملكة الحساب الذهني

لنبقَ معاً دائماً



www.syrbook.gov.sy

E-mail:syrbook.dg@gmail.com

هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ – ٣٣٢٩٨١٦

مطابع الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب - ٢٠٢٤م

سعر النسخة: ٢٠٠٠ ل.س أو ما يعادلها